

صبح الأعشى في صناعة الإنشا

(أفامنوا مكر اؑ فلا يأمن مكر اؑ) وطننا أنهم حيث تحققوا كنه الحال وآل بهم الأمر إلى ما آل أنهم تداركوا الفارط من أمرهم ورتقوا ما فتقوا بغدرهم ووجه إلينا وجه عذرهم فإنهم ربما سيروا إلينا حال دخولهم إلى الديار المصرية رسلا لإصلاح تلك القضية فبقينا بدمشق غير مثثحين و تثبطنا تثبط المتمكنين فصددهم عن السعي في صلاح حالهم التواني وعلقوا نفوسهم عن اليقين بالأمانى ثم بلغنا بعد عودنا إلى بلادنا أنهم ألقوا في قلوب العساكر والعوام وراموا جبر ما أوهنوا من الإسلام أنهم فيما بعد يلقوننا على حلب والفراه وأن عزمهم مصر على ذلك لا سواه فجمعنا العساكر وتوجهنا للقاهم ووصلنا الفرات مرتقبين ثبوت دعواهم وقلنا لعل وعساهم فما لمع لهم بارق ولا ذر شارق فقدمنا إلى أطراف حلب وعجبنا من تبطيتهم غاية العجب وفكرنا في أنه متى تقدمنا بعساكرنا الباهرة وجموعنا العظيمة القاهرة ربما أخرج البلاد مرورها وبإقامتهم فيها فسدت أمورها وعم الضرر العباد والخراب البلاد فعدنا بقيا عليها ونظرة لطف من اؑ إليها وها نحن الآن مهتمون بجمع العساكر المنصورة ومشحون غرار عزائمنا المشهورة ومشتغلون بصنع المجانيق وآلات الحصار وعازمون بعد الإنذار (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وقد سيرنا حاملي هذا الكتاب الأمير الكبير ناصر الدين علي خواجه والإمام العالم ملك القضاة جمال الدين موسى بن يوسف وقد حملناهما كلاما شافهما به